قوله تعالى:

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾

(دراسة تحليلية)

أ.م.د علي عبد الوهاب عبد الرزاق
م.د علي ساجت جياد
كلية الإمام الأعظم رحمه الله الجامعة
قسم أصول الدين / البصرة

(Allāh has not made for a man two hearts in his interior. And He has not made your wives whom you declare unlawful your mothers. And He has not made your claimed [i.e., adopted] sons your [true] sons. That is [merely] your saying by your mouths, but Allāh says the truth, and He guides to the [right] way.
[An analytical study]

Dr.ali sachit chyad
Dr.ali abdulwahab abdulrazaq

ملخص البحث

اشتملت الآية الرابعة من سورة الأحزاب على معانٍ جليلة، وأسرار وحكم عظيمة، إذ تحدثت عن بعض المستحيلات في بعض مجالات الحياة معالجة شافية وافية، بأسلوب بليغ معجز، تدل على إعجاز القرآن الكريم في لفظه وأسلوبه وتشريعه، فجاءت الدراسة وفق منهج تحليلي.

بيَّنا في المبحث الأول: معاني ألفاظها، وأسباب نزولها. ومناسبة الآية لما قبلها وبعدها، وما فيها من الناسخ والمنسوخ، والمبحث الثاني: خصصناه ببيان المستحيلات في الآية، وهي: استحالة أن يجعل الله تعالى لرجل من قلبين في جوفه، واستحالة أن تكون الزوجة أماً للرجل، واستحالة أن يكون الأدعياء أبناءً للرجل.

والمبحث الثالث: اشتمل على بيان أوجه القراءات، والإعراب، والبلاغة، وما يستفاد من الآية الكريمة، ثم كانت الخاتمة لبيان النتائج التي خرج بها البحث. وأرجو أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، والحمد لله أولاً وآخراً.

Abstract

The fourth verse of Surat Al-Ahzab contained great meanings, great secrets and wisdom, as it talked about some impossibilities in some areas of life, a comprehensive and comprehensive treatment, in an eloquent and miraculous manner, indicating the miracle of the Holy Qur'an in its articulation, style and legislation, so the study came according to an analytical method.

In the first topic, we explained: the meanings of their words, and the reasons for their descent. And the relevance of the verse to what was before and after it, and what it contains of the abrogating and the abrogated, and the second study: we devoted it to explaining the impossible in the verse, which is: the impossibility of God Almighty making a man with two hearts within him, the impossibility of a wife being the mother of the man, and the impossibility of pretenders to be children of the man.

And the third topic: It included a statement of the aspects of the readings, syntax, rhetoric, and what can be learned from the verse, then the conclusion was to show the results that came out of the research. And I hope that this work will be sincere for his .honorable sake, praise be to God first and foremost

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين، وصحبه الميامين رضوان الله عليهم أجمعين.

وبعد:

فإنَّ علم التفسير من العلوم التي خدمت كتاب الله تعالى، وكان لعلماء التفسير الأثر الكبير في توضيح معانيه، في تلاوته وتجويده، ولغته وبلاغته، وأسباب نزوله ومناسباته، ووجوهه ونظائره وغريبه، وكل جهد كبير قدمه المفسرون يدل على تعلق المسلمين بكتاب ربهم ﷻ، وحبهم له.

وقد عالج القرآن الكريم مجالات الحياة معالجة شافية وافية، تدل على إعجازه المتكامل في لفظه وأسلوبه وتشريعه، من هنا وقع اختيارنا على آية قرآنية عظيمة أشارت إلى بعض المستحيلات في سورة الأحزاب في قوله تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾[1]، فوجدنا الآية جديرة بالدراسة التحليلية، لبيان المعاني والأسرار والحِكَمِ التي فيها. وجعلناها عنواناً للبحث لدراستها دراسة تحليلية.

واقتضت طبيعة البحث أن تكون قسمته على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

أما المقدمة، تضمنتْ الحديث عن أهمية البحث، وسبب اختيارنا الموضوع، والتعريف بأجزاء البحث ومنهجه ومصادره.

والمبحث الأول: جاء بين يدي قوله تعالى: ﴿ **مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ** ﴾ . وفيه أربعة مطالب: اشتملت على بيان معاني الألفاظ. وأسباب النزول. ومناسبتي الآية لما قبلها وبعدها. والإشارة إلى الناسخ والمنسوخ في الآية.

﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ﴾

والمبحث الثاني: خصصناه ببيان المستحيلات في الآية، وفيه ثلاثة مطالب: كان **الأول** منها للحديث عن: استحالة أن يجعل الله تعالى لرجل من قلبين في جوفه، **والثاني** عن: استحالة أن تكون الزوجة أماً للرجل، **والثالث** عن: استحالة أن يكون الأدعياء أبناءً للرجل. وذكرنا في المبحث الثالث: أوجه القراءات، والإعراب، والبلاغة، وما يستفاد من الآية الكريمة .

ثم كانت الخاتمة لبيان النتائج التي خرج بها البحث.

ومن الجدير بالذكر أن مصادر البحث كانت متنوعة ومتعددة في كتب اللغة، والإعراب، وأسباب النزول، والمناسبات، والتفسير، والقراءات، مع الإشارات العلمية التي ذُكرتْ في المصادر الحديثة.

وفي ختام هذا البحث نسأل الله تعالى أن ينفع به كل مَن قرأه، وأن يجعله في ميزان عملنا يوم القيامة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباحثان

المبحث الأول

بين يدي الآية

المطلب الاول: معاني الألفاظ في الآية

ورد في قوله تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ ﴾[2] معاني الألفاظ الآتية:

أولاً: بيّن علماء اللغة وغيرهم معنى القلب في قوله تعالى: قَلْبَيْنِ)) المعاني الآتية:

(1) أوضح ابن فارس أصل الكلمة ف: الْقَافُ وَاللَّامُ وَالْبَاءُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ: **أَحَدُهُمَا** يَدُلُّ عَلَى خَالِصِ شَيْءٍ وَشَرِيفِهِ، **وَالْآخَرُ** عَلَى رَدِّ شَيْءٍ مِنْ جِهَةٍ إِلَى جِهَةٍ. فَالْأَوَّلُ الْقَلْبُ: قَلْبُ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ، سُمِّيَ لِأَنَّهُ أَخْلَصُ شَيْءٍ فِيهِ وَأَرْفَعُهُ. وَخَالِصُ كُلِّ شَيْءٍ وَأَشْرَفُهُ قَلْبُهُ)[3].

(2) وقال الرازي: القَلْبُ الفؤاد وقد يعبر به عن العقل كما في قوله تعالى: ﴿ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾[4] أي عقل)[5].

(3) وذكر الفيومي: أنَّ القلب من الفؤاد معروف، ويُطلق على العقل وجمعه قلوب مثل فلس وفلوس[6].

(4) وعرّف الجرجاني القلب بأنه: لطيفة ربانية لها بهذا القلب الجسماني الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر تعلق، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان، ويسميها الحكيم: النفس الناطقة، والروح باطنه، والنفس الحيوانية مركبة، وهي المدرك، والعالم من الإنسان، والمخاطب، والمطالب، والمعاتب)[7].

5) وبيّن أبو البقاء سبب تسمية تلك المضغة الصنوبرية قلباً؛ لكونه أشرف الأعضاء لما فيه من العقل على رأي، وسرعة الخواطر والتلون في الأحوال، ولأنَّها مقلوبة الخلقة، والقلب: رئيس البدن المعول عليه في صلاحه وفساده)[8].

والذي يبدو لنا: إن القلب جعله الله تعالى في الجانب الأيسر من صدر الإنسان يعقل به ما حق وباطل، ويميز به ما هو نافع وضار، وهو العضو الرئيس في البدن فيه مدار الصلاح والفساد.

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ﴾

ثانياً: بيّن علماء اللغة معنى الجوف في قوله تعالى فِي جَوۡفِهِۦ)) المعاني الآتية:

1) ذكر ابن السكيت أنَّ: الجوف فيه القلب وهو الفؤاد، وفيه غشاوة وهو غلافه الذي فيه الفؤاد، وربما خرج فؤاد الإنسان أو الدابة من غشائه وذلك من فزعه فيموت مكانه، لذلك تقول العرب انخلع فؤاده)[9].

2) يقول ابن فارس: الْجِيمُ وَالْوَاوُ وَالْفَاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، وَهِيَ جَوْفُ الشَّيْءِ. يُقَالُ هَذَا جَوْفُ الْإِنْسَانِ، وَجَوْفُ كُلِّ شَيْءٍ. وَطَعْنَةٌ جَائِفَةٌ، إِذَا وَصَلَتْ إِلَى الْجَوْفِ) [10].

3) وبيّن ابن منظور أن: الجَوْفُ المطمئن من الأَرض وجَوْفُ الإنسان بطنه، والجَوْفُ ما انْطَبَقَتْ عليه الكَتِفان والعَضُدان والأَضْلاعُ والصُّقْلانِ وجمعها أَجوافٌ)[11].

ويمكننا القول إنَّ الجوف هو عبارة عن وعاء خلقه الله تعالى للقلب، وهو مودع فيه، وقد يؤثر الفزع على القلب لخروجه من غلافه فيؤدي الى موت الإنسان أو الحيوان من شدة الخوف والفزع.

ثالثاً: بيّن علماء اللغة معنى الدَعِي) في قوله تعالى: أَدۡعِيَآءَكُمۡ)) المعاني الآتية:

1) ذكر الفيومي: إنَّ أدّعاء الولد الدعيّ غير أبيه يُقال هو دَعِيٌّ، بين الدعوة بالكسر إذا كان يَدَّعِي) الى غير أبيه أو يدعيه غير أبيه فهو بمعنى فاعل من الأول، وبمعنى مفعول من الثاني)[12].

2) قال الزبيدي: الدَّعِيُّ: كغَنِي: مَن تبنيته، أي اتخذته ابناً لك لقوله تعالى: وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ)) [13]، وأيضاً المتهم في نسبه والجمع: الأدعياء)[14].

إذن، كل مَن نُسِبَ الى غير أبيه أو متهم في نسبه فهو دَعِيّ.

رابعاً: بيّن علماء اللغة معنى السبيل في قوله تعالى: ٱلسَّبِيلَ)) المعاني الآتية:

1) يقول ابن فارس: السِّينُ وَالْبَاءُ وَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى إِرْسَالِ شَيْءٍ مِنْ عُلُوٍّ إِلَى سُفْلٍ، وَعَلَى امْتِدَادِ شَيْءٍ ... وَالْمُمْتَدُّ طُولًا: السَّبِيلُ، وَهُوَ الطَّرِيقُ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِامْتِدَادِهِ.) [15].

2) ولفظة السبيل) هي الطريق، وما وضح منه يذكر ويؤنث) [16]

3) كل سبيل أريد به الله هو برٌّ داخل في سبيل الله[17].

4) سبيل الله طريق الهدى الذي دعا إليه[18] لقوله تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا ﴾[19]، فذكَّر في هذه الآية.

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾[20]، فأنَّث في هذه الآية.

5) وقال الاصفهاني: ويستعمل السبيل لكل ما يتوصل به الى شيء خيراً أو شراً)[21].

5) وبيّن ابن منظور: أنَّ سبيل الله عام يقع على كل خالص سُلك به طريق التقرب الى الله بأداء الفرائض والنوافل وأنواع التطوعات، وإذا أطلق فهو في الغالب واقع على الجهاد، حتى صار لكثرة الاستعمال كأنه مقصور عليه)[22].

ومما تقدم يتبين لنا أنَّ السبيل إذا أُطلق فإنه يشمل الخير والشر، وإذا قُيِّد بلفظ الجلالة فهو يشمل كل عمل مما يتقرب به المتقربون، وقد غلب على استعماله في الجهاد لجعل كلمة الله هي العليا.

المطلب الثاني: أسباب النزول في الآية

عند النظر في أسباب نزول الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ﴾ نجد عدة روايات تشير إلى سبب نزولها، نذكرها كما يأتي:

1) نزلت في جميل بن معمر الفهري، وكان رجلاً لبيباً حافظاً لِما سَمِع، فقالت قريش: ما حَفِظ هذه الأشياء إلاّ وله قلبان، وكان يقول: إنَّ لي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد صلى الله علية وسلم . فلما كان يوم بدر وهُزِم المشركون، وفيهم يومئذ جميل بن معمر، تلقاه أبو سفيان، وهو مُعلق إحدى نعليه بيده، والأخرى في رجله، فقال له: يا أبا معمر ما حال الناس ؟ قال: انهزموا، قال: فما بالك إحدى نعليك في يدك والأخرى في رجلك ؟ قال: ما شعرت إلاّ أنهما في رجلي، وعرفوا يومئذ أنه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده[23].

2) إنَّ المنافقين كانوا يقولون: لمحمد قلبان، قلب معنا، وقلبٌ مع أصحابه، فأكذبهم اللهُ تعالى، فأنزل هذه الآية وأخبر أنه ليس له إلاّ قلب واحد[24].

3) عَن الْحسن الْبَصْرِيّ أَنه قَالَ: كَانَ الْوَاحِد مِنْهُم يَقُول: إِن لي نفساً تَأْمُرنِي بِالْخَير، ونفساً تَأْمُرنِي بِالشَّرّ؛ فَأنْزل الله تَعَالَى هَذِه الآيَة، وَأخْبر أَنه لَيْسَ لأحد إلاّ نفس وَاحِدَة وقلب وَاحِد، وَإِنَّمَا الأَمر بِالْخَير بإلهام الله، وَالأَمر بِالشَّرّ بإلهام الشَّيْطَان[25].

4) عن قتادة كان رجل لا يسمع شيئا إلا وعاه فقال الناس ما يعي هذا إلا أن له قلبين فكان يسمى ذا القلبين، فأنزل الله تعالى ذلك ونفاه[26].

5) عند عبدالله بن بريدة: قال كان في الجاهلية رجل يُقال له ذو القلبين[27]، فأنزل الله تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ ﴾

6) قوله تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ ﴾ جائز أن يكون سبب ذلك ما ذكر من ادعاء مسيلمة الكذاب الرسالة لنفسه، وتواطئ أصحابه على ذلك، يقول والله أعلم، ما جعل الله أن يرسل رجلين رسولاً الى خلقه مختلفي الدينين متضادي الشرائع، يدعو كل واحد الى دين غير الآخر والى شريعة يُضاد بعضها بعضاً: محمداً رسول الله صلى الله علية وسلم ومسيلمة الكذاب[28].

7) قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ﴾

نزلت في زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي من بني عبد ودّ، كان عبدا لرسول الله صلى الله علية وسلم فأعتقه وتبنّاه قبل الوحي، وآخى بينه وبين حمزة بن عبد المطّلب في الإسلام، فجعل الفقير أخا للغني ليعود عليه، فلمّا تزوّج النبي صلى الله علية وسلم زينب بنت جحش الأسدي وكانت تحت زيد بن حارثة، فقالت اليهود والمنافقون: تزوج محمّد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عنها، فأنزل الله تعالى[29]: ﴿ **مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ۝ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ**

فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[30].

والآية كما بان في سبب النزول ردٌ على ما كانت العرب تزعم أن اللبيب الأريب له قلبان، فقيل لأبي معمر أو لجميل بن معمر الفهري أو لجميل بن أسد الفهري: ذو القلبين. والظاهر أنه أبو معمر الفهري جميل بن معمر الذي اشتهر بين أهل مكة بذي القلبين لقوة حفظه أنَّ الله تعالى قد جعل من المستحيل أن يجعل لرجل من قلبين في جوفه، وإنَّ مَن ادعى أن له قلبين، قد رد الله تعالى عليه، بل منهم مَن أخزاه الله تعالى كالذي جعل إحدى نعليه في يد والأخرى في رجله فدلّ ذلك على عدم وعيه وشدهه من أثر هزيمة أهل الشرك في غزوة بدر.

المطلب الثالث: مناسبتي الآية لما قبلها وما بعدها

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

لما كان الآدمي موضع الحاجة الى تعظيم الترجية، ويحتاج الى مَن يدبر أموره ومَن يعتمد عليه[31] في قوله تعالى: ﴿ **وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا** ﴾[32]، ولما كان النازع إلى جهتين والمعالج لأمرين متباينين كأنه يتصرف بقلبين، أكد أمر الإخلاص في جعل الهم هماً واحداً فيما يكون من أمور الدين والدنيا، وفي المظاهرة والتبني وكل ما شابهها بضرب المثل بالقلبين[33] فقال تعالى: ﴿ **مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ** ﴾[34].

فبعد أن أمر الله تعالى بتقواه وطاعته والخوف منه، ونهى عن طاعة الكفار والخوف منهم، نفى تعدد القلب عند الإنسان، وأبطل الظهار والتبني، فإذا كان لا يجتمع في قلب إنسان الخوف من الله والخوف من غيره، فليس للإنسان قلبان حتى يطيع بأحدهما ويعصي بالآخر، ولا تجتمع الزوجية والأمومة في امرأة، ولا البنوة الحقيقية والتبني في رجل، فجمع في الآيات بين أمر معروف حسي، وبين أمرين معنويين[35].

ثانياً: مناسبة الآية لما بعدها:

لما بيّن الله تعالى ما هو مستحيل من وجود قلبين لرجل، وجعل الزوجات كالأمهات في الظهار، وجعل الأدعياء كالأبناء[36] في قوله تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ ﴾[37]، بيّن الله تعالى الى إبطال عادة التبني فقال تعالى: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[38].

ويضيف سيد قطب وصفا رائعا لتلك الآيات بقوله: فلما شرع الإسلام ينظم علاقات الأسرة على الأساس الطبيعي لها، ويحكم روابطها، ويجعلها صريحة لا خلط فيها ولا تشويه.. أبطل عادة التبني هذه ورد علاقة النسب إلى أسبابها الحقيقية.. علاقات الدم والأبوة والبنوة الواقعية. وقال: «وما جعل أدعياءكم أبناءكم» .. «ذلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْواهِكُمْ» .. والكلام لا يغير واقعا، ولا ينشىء علاقة غير علاقة الدم، وعلاقة الوراثة للخصائص التي تحملها النطفة، وعلاقة المشاعر الطبيعية الناشئة من كون الولد بضعة حية من جسم والده الحي! «وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ» .. يقول الحق المطلق الذي لا يلابسه باطل. ومن الحق إقامة العلاقات على تلك الرابطة الحقة المستمدة من اللحم والدم، لا على كلمة تقال بالفم. «وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ» المستقيم، المتصل بناموس الفطرة الأصيل، الذي لا يغني غناءه سبيل آخر من صنع البشر، يصنعونه بأفواههم. بكلمات لا مدلول لها من الواقع. فتغلبها كلمة الحق والفطرة التي يقولها الله ويهدي بها السبيل. «ادْعُوهُمْ لِآبائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ»)[39].

المطلب الرابع: الناسخ والمنسوخ في الآية

كان الرجل في الجاهلية يتبنى الرجل فيجعله كالأبن المولود له يدعوه الناس إليه، ويرث ميراثه، وكان النبي صلى الله علية وسلم أعتق زيد بن حارثة، وتبناه قبل الوحي، فلما تزوج رسول الله صلى الله علية وسلم زينب بنت جحش، وكانت تحت زيد بن حارثة، قال المنافقون تزوج امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ ﴾

[40]. ونسخ حكم التبني الذي كان عليه أهل الجاهلية وما كانوا عليه من جهل وضلال[41] . وكانت هذه الآية ناسخة لحكم التبني وإبطاله.

ويشير ابن كثير إلى أن في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ادْعُوهُمْ لِآبائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ) نسخاً لِمَا كَانَ فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ مِنْ جَوَازِ ادِّعَاءِ الْأَبْنَاءِ الْأَجَانِبِ وهم الأدعياء، فأمر تبارك وتعالى بِرَدِّ نِسَبِهِمْ إِلَى آبَائِهِمْ فِي الْحَقِيقَةِ، وَأَنَّ هذا هو العدل والقسط والبر... وَلِهَذَا لَمَّا نُسِخَ هذا الحكم أباح تبارك وتعالى زَوْجَةَ الدَّعِيِّ، وَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم بزينب بنت جحش مطلقة زيد بن حارثة رضي الله عنه، وقال عز وجل لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْواجِ أَدْعِيائِهِمْ إِذا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً [الأحزاب: 37]) [42].

والحق .. أنه لا يوجد هنا نسخ فما أبطله الإسلام من أمور الجاهلية، لا يُعدُّ من قبيل الناسخ والمنسوخ[43]

المبحث الثاني

المستحيلات في الآية الكريمة

لقد بيّن الله تعالى في قوله: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾[44]، ثلاثة مستحيلات[45] لا يمكن أن تجتمع أبداً، وسنتكلم عنها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: استحالة أن يجعل الله تعالى لرجل قلبين في جوفه

لقد بيّن الله تعالى في قوله: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾استحالة أن يعطي الله تعالى لرجل قلبين وهذه أقوال المفسرين في:

بِسْـــــــــمِ) قال الطبري: اختلف أهل التأويل في المراد من قول الله تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾ فقال بعضهم: عنى بذلك تكذيب قوم من أهل النفاق، وصفوا نبي الله صلى الله علية وسلم بأنه ذو قلبين، فنفى الله ذلك عن نبيه وكذبهم، قاله

ابن عباس. وقال آخرون: بل عني بذلك: رجل من قريش كان يدعى ذا القلبين من دهيه، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وعكرمة رضي الله عنهم) [46] .

وقد كذَّب قول مَن قال لرجل في جوفه قلبان يعقل بهما، وهو كذلك تكذيب من الله تعالى لكل مَن وصف النبي صلى الله علية وسلم بأنَّ له قلبين، وهو تكذيب كذلك لمَن اتصف بالدهاء بأنَّ له قلبين.

2) وذكر الإمام النسفي بأنه: ما جمع الله قلبين في جوف، والله تعالى كما لم ير في حكمته أنْ يجعل لإنسان قلبين، لأنَّه لا يخلو إما أن يفعل بأحدهما مثل ما يفعل بالآخر فعلاً من أفعال القلوب فأحدهما فضلة غير محتاج إليه، وإما أن يفعل بهذا غير ما يفعل بذاك، فذلك يؤدي إلى اتصاف الجملة بكونه مريداً كارهاً، عالماً، ظاناً، موقناً، شاكاً في حالة واحدة[47].

وحكمة الله تعالى واضحة في جعل كل أمر من الأمور في نصابها، فأعطى الله تعالى كل واحد منا قلباً واحداً وفيه نتجه الى الله تعالى بقلوبنا عندما نحسن نية القصد لله تعالى في عقيدتنا وعبادتنا وسائر تصرفاتنا، فقلب واحد فيه نحسن تدبير أمورنا، أما القلبين فكل واحد منهما يريد شيء لا يريده الآخر، وهذا يؤدي الى تذبذب المرء، ولهذا استحال أن يكون لرجل قلبين في جوفه.

3) وقال السعدي في قوله تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦ ﴾ هذا لا يوجد، فإياكم أن تقولوا عن أحد إن له قلبين في جوفه، فتكونوا كاذبين على الخلقة الإلهية[48].

4) وبيّن مكي بن أبي طالب القيسي: ما جعل الله لرجل قلباً يحب به، وقلباً يبغض به وقلباً يكفر به، وقلب يؤمن به)[49].

فالله تعالى لم يجعل لرجل قلبين، وإنما جعل لكل واحد منا قلباً واحداً به نحب ونبغض، وبه نؤمن بالله وبه يكفر، ومَن يكفر يدخل في الضلال.

5) قال سهل: التوجه الى الله قصداً من غير التفات فمَن نظر إلى شيء سوى الله فما هو بقاصد إلى ربه فإن الله يقول: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦ ﴾ قلب يقبل به على ربه وقلب يدبر به أمر دنياه)[50].

ويبدو لنا من هذا القول استحالة وجود قلبين في جوف رجل واحد، قلب يقبل به على ربه ﷻ، وقلب يُقبل به على أمور دنياه، وإنما لكل واحد منا قلب واحد، والسعيد مَن يُقبل على ربه ﷻ بقلب سليم، ويصلح دنياه بما كلفه الله تعالى من عقيدة صافية، وعبادة صحيحة، وسلوك صائب.

6) وذكر البقلي: أن الله سبحانه وتعالى أخبر أنَّ القلب واحد لا يحتاج الى قلب سواه فانَّ القلب خلق على استعداد قبول وقائع أنوار جميع الذات والصفات، وفيه عقل قدسي يعرف الأشياء بحقيقتها، ونفس هي مجرى الأقدار الفعلية القهرية من الله، وفيه روح لطيف وقدسي مخاطب من الله بجميع طرق المعارف، وفيه سر هو مرآة كشوفات الغيب فإذا هدي القلب ميادين ربوبية الأزل والابد لا يحتاج الى شيء سواه، فالقلب الحقيقي ما لم يكن بينه وبين الحق حجاب ولا يكون شغله بشيء سوى الله[51].

فالقلب واحد، لا نحتاج الى قلب آخر، والقلب الحقيقي الذي يعرف الله تعالى حق المعرفة، لا يكون بينه وبين الله حجاب، فالقلب الصالح همه ربه ﷻ لا يفكر إلا بما يُرضي ربه ﷻ في ليله ونهاره.

7) ويبين محمد حجازي عن الآية: ما جعل الله لرجل- أياً كان- قلبين في جوفه، والقلب محل التوجيه، ومبعث الاتجاهات والعواطف، فإذا كنت مع الله ورسوله وليس في قلبك مثقال ذرة من كفر أو نفاق، فلن تكون غير مؤمن صالح كامل متبع للقرآن داع له ولحكمه، متوكل على الله، والعرب تفهم في هذا أنه لا يجتمع اعتقادان متغايران في قلب كما لا يجتمع قلبان في جوف، ولا يصح أن تكون أخلاقنا وآدابنا من واد، وديننا من واد، ونظامنا واقتصادنا من واد آخر)[52].

لذا؛ على المجتمع الإسلامي أن يعيش لديننا الذي ارتضاه الله لنا وما فيه من جوانب عديدة، نعرض كل جوانب الحياة على كتاب الله وسنة النبي صلى الله علية وسلم وما فيها من مخرج في كل شأن من شؤون حياتنا في عقيدتنا وعبادتنا، وفي أخلاقنا، وفي اقتصادنا، وفي جميع النظم أن نحكّم فيها كتاب الله وسنة النبي صلى الله علية وسلم، ولا تعيش مجتمعات المسلمين في الجهل والبِدعة والضلال والظلام، فما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه؛ فكذلك يكون همنا هماً واحداً، وهو بناء شخصية المسلم وفق عقيدة حقة، وتصرف

صائب، بل بناء مجتمعات المسلمين، وجمع القلوب والعواطف والاتجاهات على منبع صافٍ فيه الاعتقاد الصحيح الذي ليس فيه ريب وشك، فلا يصحح مسارنا ويوحد كلمتنا، ويأخذ بسفينتنا الى بَر الأمان إلا قلباً عامراً بالإيمان لا يتغير ولا ينحرف ولا يتبدل، بل هو ثابت على نور القرآن الكريم وضياء السنة المطهرة.

المطلب الثاني: استحالة أن تكون الزوجة أُمّاً لرجل

لقد بيّن الله تعالى في قوله: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ أن تكون المرأة الواحدة زوجة وأُمّاً لرجل، وهذه أقوال المفسرين:

مَا) قال الطبري عن قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ ولم يجعل الله أيها الرجال نساءكم اللائي تقولون لهنّ: أنتن علينا كظهور أمهاتنا أمهاتكم، بل جعل ذلك من قيلكم كذباً، وألزمكم عقوبة لكم كفَّارة، قاله قتادة)[53].

يُوحَىٰ) قال الماتريدي: يحتمل في قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ وجهين: **أحدهما:** لا تشبهوا أزواجكم بظهور الأمهات، ولا تحرموهن على أنفسكم كحرمة الأمهات؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ﴾[54] **والثاني:** أنْ لم يجعل الله لكم أزواجكم حراماً أبداً كالأمهات، وإن جعلتم أنتم؛ ولكن جعلهنَّ لكم بحيث تصلون إليهنَّ بالاستمتاع على ما تصلون إليهنَّ وتستمتعون بهنَّ، بعد هذا القول؛ يُذكرُ هذا على المنة والنعمة؛ ليتأدى به شكره ؛ لما أبقى لهم الاستمتاع بهنَّ بعد هذا، ولم يجعلهنَّ لهم كالأمهات على ما ذكر) [55].

إِلَيْكَ) وقال الزمخشري وغيره: لم يرَ أن تكون المرأة الواحدة أُمّاً لرجل زوجاً له، لأن الأم مخدومة مخفوض لها جناح الذل، والزوجة مستخدمة متصرف فيها بالافتراش وغيره كالمملوكة، وهما حالتان متنافيتان) [56].

مِن) وبيّن ابن العربي: أن اللَّهُ سُبْحَانَهُ نَهَى أَنْ تَكُونَ الزَّوْجَةُ أُمًّا بِقَولِ الرَّجُلِ: هِيَ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي. ولكِنَّهُ حَرَّمَهَا عَلَيْهِ، وجَعَلَ تَحْرِيمَ القَوْلِ يَمْتَدُّ إِلَى غَايَةٍ، وهيَ الْكَفَّارَةُ، كما فِي سُورَةِ المُجَادَلَةِ) [57].

رَبِّكَ) وقال البكري عن هذه الآية: كقول الواحد لزوجته أنت عليَّ كظهر أمي، أي مثل تحريم الأمهات في التحريم، لأنهم كانوا يعدونه في الجاهلية طلاقاً، بل يجب فيه الكفارة في سورة المجادلة) [58].

) وأوضح السعدي[59]: بأن يقول أحدكم لزوجته: أنت عَليَّ كظهر أمي أو كأمي، وصارت أعظم النساء عليك، حرمة وتحريماً، وزوجتك أحل النساء لك، فكيف تشبه أحد المتناقضين بالآخر؟ هذا أمر لا يجوز، كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗا ﴾[60].

والظهار في الجاهلية يُعد طلاقاً، وهو قول الرجل لزوجته: أنتِ عليَّ كظهر أمي).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله علية وسلم وهي تقول: يا رسول الله، أبلى شبابي ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك. قالت عائشة: فما برحت حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات[61]. ﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ﴾[62].

وقد بيّن الله تعالى كفارة الظهار في سورة المجادلة فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ۝ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[63].

فحكمُ الظهار بعد ما كان يُعدّ طلاقاً في الجاهلية، فبيّن أنَّ من المستحيلات في سورة الأحزاب أن يجعل الزوجة كالأم في الحرمة، فالزوجة لا تكون أماً، لأنَّ الأم الحقيقية هي التي ولدت. وبيّن الكفارة لمَنْ لفظ ذلك على زوجته وجعلها كظهر أمه، وهي تحرير رقبة

من قبل أن يتماسا، ومن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ولو أفطر يوماً ذهب صيامه أدراج الرياح، ومَن لم يستطع الصيام أطعم ستين مسكيناً.

ونجد أنَّ القرآن الكريم يُعالج موضوع الظهار معالجة شافية كافية في وضع النقاط على الحروف حتى لا يتفوه الرجال ويجعلون زوجاتهم اللواتي أحلهنَّ الله كالأم التي حرمها الله تعالى.

المطلب الثالث: استحالة أن يكون الأدعياء أبناءً للرجل

لقد بيّن الله تعالى في قوله: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ﴾ استحالة أن يكون الدعيّ أبناً لمَن تبناه وهذه أقوال المفسرين:

1) قال الطبري: لم يجعل الله من ادّعيت أنه ابنك، وهو ابن غيرك ابنك بدعواك)[64] قاله: قتادة[65].

2) وقال ابن العربي: إنَّ الرَّجُلُ يَدْعُو الرَّجُلَ ابْنًا إذا رَباه، كَأَنَّهُ تَبَنَّاهُ أَيْ يُقِيمُهُ مَقَامَ الابْنِ؛ فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَوْلَهُمْ؛ لأَنَّهُمْ تَعَدَّوْا بهِ إلى أَنْ قَالُوا: المَسِيحُ ابنُ اللَّهِ: والى أَنْ يَقُولُوا: زَيد بنُ مُحَمَّد، فمَسَخَ اللَّهُ هذهِ الذَّرِيعَةَ، وبَتَّ حَبْلَها، وقَطَعَ وصْلَها بِمَا أَخْبَرَ مِنْ إبْطَالِ ذلكَ)[66].

3) وقال الماتريدي: قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ﴾ تحتمل وجهين[67]:

أحدهما: ما جعل أدعياءكم أبناءكم في حقوق النسب إلى الآباء، فإذا ادعى الرجل منهم رجلاً وَرِثَهُ مع أولاده، وهو شيء كانوا يفعلونه في الجاهلية، دُعِيَ إليه ونُسِبَ، والله أعلم: ما جعل ما كنتم تَدَّعونَ الأبناء في الجاهلية للعون والنصرة أبناءكم في الإسلام.

وثانيهما: ما جعل أدعياءكم في حق النسبة، كما ذكر أنهم يقولون لزيد بن حارثة: زيد بن محمد).

4) وبيّن الزمخشري: استحالة أن يكون الرجل الواحد دعياً لرجل وابناً له، لأنَّ البنوة أصالة في النسب وعراقة فيه، والدعوة إلصاق عارض بالتسمية لا غير، ولا يجتمع في الشيء الواحد أن يكون أصيلاً وغير أصيل[68].

والذي يبدو لنا أنَّ الله تعالى قد أبطل عادة التبني التي كانت موجودة في الجاهلية، وجاء الإسلام ليقضي على رواسب الجاهلية فكان قبل البعثة قد تبنى النبي صلى الله علية وسلم زيداً، فكان يُدعى زيد بن محمد، وقد زوج النبي صلى الله علية وسلم زيداً ابنة عمته زينب بنت جحش ثم طلقها زيد لكثرة المشاكل بينهما. وقد جاءت الآيات الكريمة تفند عادة التبني فبينت هذه الآية الكريمة استحالة أن يكون الأدعياء أبناء في قوله تعالى:﴿ **وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ** ﴾

ودعا القرآن الكريم المتبني أن يدعو مَن تبناه الى أبيه في قوله تعالى: ﴿ **ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾[69]

وضَّح القرآن الكريم أنَّ النبي صلى الله علية وسلم لم يكن أباً لأحد من الناس فقال تعالى: ﴿ **مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا** ﴾[70]. وكذلك زوّج الله رسوله من فوق سبع سماوات فقال:﴿ **فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا** ﴾[71].

وهذه الأدلة من كتاب الله تعالى في تحريم عادة التبني التي كانت سائدة في الجاهلية فجاء الإسلام للقضاء على هذه العادة السيئة، فأبطل الله تعالى عادة التبني وجعلها من المستحيلات التي ذكرت في سورة الأحزاب.

المبحث الثالث

أوجه القراءات والإعراب والبلاغة وما يُستفاد من الآية

المطلب الأول: أوجه القراءات في الآية

لقد ورد في قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ ﴾ أوجه القراءات القرآنية الآتية:

أولاً: قوله تعالى: ٱلَّٰٓـِٔي)) قرئت بوجوه عدة[72]:

1) قَرَأَ أَبُو عَمْرو وورش عَن نَافِع والبزي عَن ابْن كثير اللاي) بِغَيْر مد وَلَا همز فِي كل الْقُرْآن.

2) قَرَأَ نَافِع والقواس عَن ابْن كثير اللاءِ مهموزا مَقْصُورا.

3) قَرَأَ أهل الشَّام اللآءِ)

4) وقرأ أهل الكوفة اللائي) بِهَمْزَة بعْدهَا يَاء ووزنها فَاعل.

وهذه الوُجُوه كلهَا جمع الَّتِي) وَالعرب تجمع التِي على اللاتِي واللائي) ثمَّ يجمعُونَ الجمع فَيَقُولُونَ اللواتي)، فمن قَرَأَ اللائي) على وزن اللاعي) فَهُوَ القِيَاس على الأَصْل وَهُوَ جمع الَّتِي) على غير اللَّفْظ، وَمن قَرَأَ اللآء) على وزن اللاع) فإِنَّهُ اكتفى بالكسرة على اليَاء لأَنَّ الكسرة تنوب عَن اليَاء، وَمن ترك الهَمْز فإِنَّمَا تَركه للتَّخْفِيف وهذه لُغَات للعَرَب[73].

ثانياً: قوله تعالى تُظَٰهِرُونَ)) وردت فيها أوجه القراءات الآتية:

1) قرأ عاصم عن أبي بكر تُظَٰهِرُونَ)) بضم التاء وتخفيف الظاء وبألف بعدها وكسر الهاء مع تخفيفها[74].

2) قرأ حمزة والكسائي وخلف والكسائي عن أبي بكر تَظَهَّرُونَ)) إلا أنهم فتحوا التاء والهاء[75].

3) وقرأ عامر إلا أنه شدد الظاء تَظَّهَرُونَ)) [76].

4) قرأ الباقون تَظَّهَّرُونَ)) بفتح التاء وتشديد الظاء والهاء مع فتحها من غير ألف وهم أهل الحجاز والبصرة[77].

وبيّن أبو زرعة أنَّ المعنى في تظهرون وتظاهرون)) واحد، أصله كله من الظهر، لأنَّ الذي يتظاهر من امرأته إنما قال لها: أنت عليَّ كظهر أمي)، فمَن قرأ : تَظَّهَرُونَ)) فالأصل تتظهرون) فأدغم التاء في الظاء واستثقل اجتماع تاءين، ومَن قرأ:
تَظَّاهَرُونَ)) أراد تتظاهرون، فحذف إحدى التاءين، ومَن قرأ بالتشديد أراد أيضاً تتظاهرون، ثم أدغم التاء في الظاء، وإدخال الأف وإخراجها سواء، ومَن قرأ :
تُظاهرون)) بالألف، مضمومة التاء مثل تُقاتلون، جعله فعلاً من اثنين، من ظاهر من امرأته مظاهرة وظِهاراً، وحجته قولهم في مصدر ظاهر الظهار[78].

المطلب الثاني: أوجه الإعراب في الآية

لقد وردت في قوله تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾[79]. عدة وجوه بلاغية منها:

1) قوله تعالى: مِّن قَلْبَيْنِ)) إدخال "مِن" الاستغراقية على قلبين تأكيدان لما قصد من المعنى، كأنه قال: ما جعل الله لأمة الرجال ولا لواحد منهم قلبين البتة في جوفه[80]. ومَن زائدة للتوكيد، إنه لم يجعل للإنسان قلبين قلباً يخلص لله ﷻ وقلباً يميل به الى أعدائه[81].

2) قوله تعالى: ٱلَّٰٓـِٔي)) هو جمع التي والأصل إثبات الياء، ويجوز حذفها اجتزاء بالكسرة ويجوز تليين الهمزة وقلبها ياءً[82].

3) قوله تعالى: تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ)) في موضع نصب على الحال[83].

4) قوله تعالى: أَدْعِيَآءَكُمْ)) جمع دعيّ، صفة مشبّهة وزنه فعيل بمعنى مفعول، وجمعه أفعلاء ، لأنَّ فعيل هنا ليس على معنى فاعل كتقيّ وأتقياء، وقياسه أن يكون على وزن فعلى بفتح فسكون كقتيل وقتلى[84].

المطلب الثالث: أوجه البلاغة في الآية

لقد وردت في قوله تعالى: ﴿ **مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ** ﴾[85] الأوجه البلاغية الآتية:

1) التنكير لإفادة الاستغراق والشمول **مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ**))، وإدخال حرف الجر الزائد: لتأكيد الاستغراق، وذكر الجوف فِي جَوۡفِهِۦ)) لزيادة التصوير في الإنكار [86].

2) قال الزمخشري رحمه الله: فإنْ قلت: أي فائدة في ذكر الجوف؟ قلت الفائدة فيه كالفائدة في قوله: ﴿ تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾[87]، وذلك ما يحصل للسامع من زيادة التصور التجلي للمدلول عليه، لأنَّه إذا سمع به صور لنفسه جوفاً يشتمل على قلبين، فكان أسرع الى الإنكار)[88].

3) وذكر الزمخشري رحمه الله: فإن قلت: ما معنى قولهم: أنت عليَّ كظر أمي، قلت: أرادوا أن يقولوا: أنت عليَّ حرام كبطن أمي، فكنوا البطن بالظهر، لئلا يذكروا البطن الذي ذكره يقارب ذكر الفرج، وإنما جعلوا الكناية عن البطن بالظهر، لأنَّه عمود البطن)[89].

4) وبيّن الزمخشري رحمه الله: فإن قلت: الدعيّ فعيل بمعنى مفعول، وهو الذي يُدعى ولداً فما له جمع على أفعلاء، وبابه ما كان منه بمعنى فاعل: كتقي وأتقياء، وشقي وأشقياء، ولا يكون ذلك في نحو رمى وسمى، قلت: إن شذوذه عن القياس كشذوذ قتلاء وإسراء، والطريق في مثل ذلك التشبيه اللفظي)[90] .

5) وقال الرازي في قوله تعالى: **ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ**)) فيهِ لطيفَةٌ وهوَ أَنَّ الكلامَ المُعْتَبَرَ على قسمَينِ أَحَدُهُمَا: كلامٌ يَكُونُ عَنْ شَيءٍ كانَ فيُقَالُ: والثَّاني: كَلامٌ يُقَالُ فيكونُ كما قِيلَ والأَوَّلُ كَلامُ الصَّادِقِينَ الذينَ يَقُولُونَ ما يكُونُ والآخَرُ كَلامُ الصّدِّيقِينَ الذينَ إِذا قالُوا شَيْئًا جَعَلَهُ اللَّهُ كما قالُوهُ وكِلاهُمَا صادِرٌ عَنْ قَلْبٍ والكَلامُ الذِي يكونُ بالفَمِ فَحَسْبُ هو مِثْلُ نَهيقِ الحمارِ أَو نُبَاحِ الكَلبِ، لأَنَّ الكَلامَ المُعْتَبَرَ هو الذي يُعْتَمَدُ عليهِ والذي لا يكُونُ عنْ قَلْبٍ وَرَوِيَّةٍ لا اعْتِمَادَ عليه، واللهُ تعالى ما كَرَّمَ ابنَ آدَمَ وفَضَّلَهُ على سائرِ الحيواناتِ

يَنْبَغِي أَنْ يحْتَرِزَ مِنَ التَّخَلُّقِ بِأَخْلاقِهَا، فَقَولُ القَائِلِ: هذا ابنُ فُلانٍ مَعَ أَنَّهُ لَيسَ ابْنَهُ لَيْسَ كَلامًا فإِنَّ الكَلامَ في الفُؤادِ وهذا في الفَمِ لا غَيْر، واللَّطِيفَةُ هي أنَّ اللهَ تعالى هاهنا قَالَ: ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾) وقالَ في قَولِهِ: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾[91]، يعْني نِسْبَةَ الشَّخْصِ الى غَيْرِ الأَبِ قَولٌ لا حَقيقَةَ لهُ ولا يخْرُجُ مِنْ قَلْبٍ ولا يدْخُلُ أَيضًا في قَلْبٍ فهوَ قَولٌ بالفَمِ مِثْلُ أَصْوَاتِ البَهَائِم)[92].

المطلب الرابع: ما يُستفاد من الآية الكريمة

لقد أفادت الآية الكريمة: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾[93] فوائد عدة منها:

1) هذا مثل ضربه الله للمُظاهر من امرأته، وللمتبنّي ولد غيرهِ، يقول: فكما لا يكون لرجل قلبان كذلك لا تكون امرأة المظاهر أُمّه حتى يكون له أُمّان، ولا يكون ولد أحد ابن رجُلين[94]. ولقوله تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[95].

2) أبطلت الآية الكريمة التحريم بالظهار الذي كان عليه أهل الجاهلية من الضلال[96].

3) إبطال عادة التبني، وما يترتب عليها من حرمة نكاح امرأة المتبني، وما عليه أهل الجاهلية من ضلال[97].

4) تدلُّ الآية الكريمة بفحوى خطابها أنه لم يجعل لامرأة من قلبين في جوفها[98].

5) وجوب دعاء الدعي المتبني بأبيه إن عُرف، وإن لم يُعرف اسم أبيه دعي بعنوان الأخوة الإسلامية[99].

6) والحكمة فيما لم يجعل لواحد قلبين، وجعل له سمعين وبصرين؛ لأنَّ الإدراك بالسمع والبصر إنما يكون بالمشاهدة، فيخرج ذلك مخرج معاونة بعضهم بعضاً، وما يُدرك بالقلب

يكون بالاجتهاد، وقد يختلف القلبان فيما يجتهدان في شيء، فيناقض أحدهما صاحبه؛ إذ يجوز أن يرى أحدهما خلاف ما يراه الآخر، وأما السمعان والبصران لا يكون كذلك[100].

7) يستشهد الإنسان بهذه الآية: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ ﴾ متى نسي شيئاً أو وهم، يقول على وجه الاعتذار ما جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ، أي إذا نسي قلبه الواحد يذكره الآخر[101].

8) الإشارة بقوله تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦ ﴾ الى أُكْذُوبَةٍ مِنْ تَكَاذِيبِ الجَاهِلِيَّةِ كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّ جَميلَ بنَ مَعْمَرٍ، وكانَ رجُلاً داهِيَةً قَويَّ الحِفْظِ، أَنَّ لهُ قَلْبَيْنِ يَعْمَلانِ ويَتَعَاوَنَانِ ويُرِيدُونَ العَقْلَيْنِ، لأَنَّهُمْ كانوا يَحْسَبُونَ أَنَّ الإدْرَاكَ بِالقَلْبِ، وأَنَّ القَلْبَ مَحَلُّ العَقْلِ. وقدْ وصَلَ بهِ الغُرُور فكَانَ يقولُ: إِنَّ في جَوْفِي قَلْبَيْنِ أَعْمَلُ بكُلِّ واحِدٍ منْهُمَا عَمَلاً أَفْضَلَ مِنْ عَمَلِ مُحَمَّد[102].

9) يدل قوله تعالى: يدل قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ ﴾على أنه ينبغي أن يكون قول الإنسان إما عن حقيقة يقرها العقل السليم أو عن شرع ثابت[103].

10) يدل قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ﴾ يدل على أنه سبحانه يغفر الذنوب للمستغفر، ويرحم المذنب التائب[104].

الخاتمة

نخلص مما تقدم في أثناء البحث، إلى النتائج التي توصل إليها البحث، ونعرضها كما يأتي:

1. ادعاء أنَّ الرجل الأريب اللبيب له في جوفه قلبان دعوى باطلة مخالفة للشرع والعقل.
2. رد الله تعالى بعض مشركي مكة الذين يقولون: إنَّ لي في جوفي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد صلى الله علية وسلم .
3. رد الله تعالى على المنافقين الذين هم في درجة متوسطة بين الإيمان والكفر إذ ليس هناك إلاّ قلب واحد فيه إيمان أو كفر.
4. التبني حرام في الإسلام، لأنَّه يُصادم الحقيقة، والأفضل أن يُنسب الرجل الى أبيه نسباً، ويُحرم على الإنسان تعمد دعوة الولد لغير أبيه، على ما كان عليه أهل الجاهلية، فإن لم يكن كذلك، كما يقول الكبير للصغير من باب التلطف والحنو والشفقة: يا بني أو أبني، والظاهر عدم الحرمة، والأولى تركه سداً لباب التشبه بالكفار.
5. نسبة الإنسان الى أبيه من التبني خطأ، بأن يسبق اللسان إليه من غير قصد، لا أثم ولا مؤاخذة فيها، لقوله تعالى:﴿ **وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ** ﴾(105).
6. إباحة القول لمَن لم يُعرف أبوه: يا أخي أو يا مولاي إذا قصد الأخوة في الدين والولاية فيه، وكان المدعو تقياً، فإذا كان فاسقاً فلا يُدعى بذلك، لأنَّ تعظيم الفاسق حرام.
7. أبطل الله تعالى في الآية الكريمة حكم الظهار الجاهلي، وهو قول الرجل لامرأته أنت عليَّ كظهر أمي، فتصبح محرمة على التأبيد، أما في الإسلام فالحرمة مؤقتة تنتهي بالكفارة.
8. كل مَن اعتقد الدعاء لغير أبيه وهو يعلمه كفر، ومَن لم يعتقد إباحته، فمعنى كفره أنه أشبه فعله فعل الكفار أهل الجاهلية، أو أنه كافر بنعمة الله والإسلام عليه.
9. جواز قول الإنسان لمَن تبناه يا أخي) لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾(106)

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ﴾

10. ﴿ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ ﴾[107]. ويا مولاي) إذا قصد أخوة الدين وولايته.

11. الله تعالى رحيم لا يؤاخذ العبد على ما صـــدر منه عن خطأ بل يعفو عنه ويغفر له.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الــدين، والحمــد لله أولاً وآخراً، و﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢ ﴾ [الصافات].

الهوامش

(1) سورة الأحزاب، الآية 4.

(2) سورة الأحزاب، الآية 4.

(3) معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكريا: 17/5.

(4) سورة ق، الآية 37.

(5) مختار الصحاح: 56/1.

(6) المصباح المنير: 512/2.

(7) التعريفات: 1/ 229.

(8) كتاب الكليات: 112/1.

(9) الكنز اللغوي: 218/1.

(10) معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكريا: 495/1.

(11) لسان العرب: 34/9.

(12) المصباح المنير: 195/1.

(13) سورة الأحزاب، الآية 4.

(14) تاج العروس: 39/38 ، والمعجم الوسيط: 287/1.

(15) معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكريا: 129/3-130.

(16) يُنظر: لسان العرب: 319/11 ، وتاج العروس: 161/29، ومختار الصحاح: 326/1، والمعجم الوسيط: 415/1 .

(17) يُنظر: لسان العرب: 319/1، وتاج العروس: 161/29،.

(18) يُنظر: لسان العرب: 319/1.

(19) سورة الأعراف، الآية 146.

(20) سورة يوسف، الآية 108.

(21) المفردات في غريب القرآن: 223/1 ، ويُنظر: بصـــائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: 186/3.

(22) لسان العرب: 319/11.

(23) يُنظر: أسـباب النزول للواحدي: 351 ، ومعاني القرآن للفراء: 334/2 ، والهداية الى بلوغ النهاية مختصراً: 480/5، وزاد المسير: 347/6، واللباب في علوم الكتاب: 498/15، ولباب النقول: 71/1 مختصراً.

(24) يُنظر: تفسير القرآن للسمعاني: 257/4، وزاد المسير: 348/6،.

(25) يُنظر: معاني القرآن للنحاس: 318/5 ، وتفسير القرآن للسمعاني: 257/4.

(26) يُنظر: الهداية في بلوغ النهاية: 481/5.

(27) يُنظر: معاني القرآن للنحاس: 318/5.

(28) يُنظر: تأويلات أهل السنة: 99/4ذ.

(29) يُنظر: الكشف والبيان: 5/8 ، والهداية في بلوغ النهاية محتصراً: 481/5.

(30) سورة الأحزاب، الآيتان 4 – 5.

(31) يُنظر: نظم الدرر: 72/6.

(32) سورة الأحزاب، الآية 3.

(33) يُنظر: نظم الدرر: 71/6.

(34) سورة الأحزاب، الآية 4.

(35) يُنظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: 234/21.

(36) يُنظر: نظم الدرر: 72/6.

(37) سورة الأحزاب، الآية 4.

(38) سورة الأحزاب، الآية 5.

(39) في ظلال القرآن لسيد قطب: 2825/5.

(40) سورة الأحزاب، الآية 4.

(41) يُنظر: معالم التنزيل: 316/6 ، والجدول في إعراب القرآن: 21/ 127.

(42) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: 336/6-337.

(43) يُنظر في هذا الموضوع على سبيل المثال: مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزُّرْقاني: 254/2، ومباحث في علوم القرآن لمناع بن خليل القطان: ص 249.

(44) سورة الأحزاب، الآية 4.

(45) يقول الخليل الفراهيدي في العين: (كلامٌ مُسْتَحيلٌ: محالٌ. ... وكلّ شيءٍ استحال عن الاستواء إلى العِوَجِ، يقال له: مُستحيل). 298/3. وقال الراغب: (وأمّا المُحَال: فهو ما جمع فيه بين المتناقضين، وذلك يوجد في المقال، نحو أن يقال: جسم واحد في مكانين في حالة واحدة، واستحال الشيء: صار محالا، فهو مُسْتَحِيل. أي: آخذ في أن يصير محالا) المفردات ص 266. (وَقيل: المُحالُ: الباطِلُ، مِن: "حالَ الشَّيْء" يحُولُ: إِذا انْتقل عَن جِهَتِه. {كالمُستَحِيل يُقَال: كلامٌ مُستَحِيلٌ: أَي مُحالٌ. {واسْتَحالَ الشَّيْء: صَار مُحالاً) تاج العروس 370/28.

(46) جامع البيان: 255/10.

(47) يُنظر: الكشاف: 528/3، ومدارك التنزيل: 3/ 235 ، والبحر المحيط: 205/7 ، والسراج المنير: 528/3.

(48) تيسير الكريم الرحمن: 658/1.

(49) الهداية الى بلوغ النهاية: 481/5.

(50) حقائق التفسير: 141/2.

(51) يُنظر: عرائس البيان في حقائق القرآن: 1354/3.

(52) التفسير الواضح: 73/3.

(53) جامع البيان، 10/ 256 ، والهداية الى بلوغ النهاية: 481/5.

(54) سورة المجادلة، الآية 2.

(55) تأويلات أهل السنة: 99/4.

(56) الكشاف: 528/3 ، ويُنظر: مدارك التنزيل: 235/3 ، والبحر المحيط: 205/7 ، والسراج المنير: 155/4.

(57) أحكام القرآن الكريم لابن العربي: 1504/3.

(58) تفسير البكري: 46/3.

(59) تيسير الكريم الرحمن: 658/1.

(60) سورة المجادلة، الآية 2.

(61) المستدرك على الصحيحين: 182/2 وبرقم 3791، والحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه البخاري ومسلم في صحيحيهما، أسباب النزول: 273/1، ولباب النقول: 206/1.

(62) سورة المجادلة، الآيتان 1 – 2.

(63) سورة المجادلة، الآيتان 3 – 4.

(64) جامع البيان: 256/10 ، والهداية الى بلوغ النهاية: 481/5.

(65) جامع البيان: 256/10.

(66) أحكام القرآن لابن العربي: 1504/3.

(67) تأويلات أهل السنة: 99/4 – 100.

(68) يُنظر: الكشاف: 528/3، والبحر المحيط: 205/7 ، والسراج المنير: 189/3.

(69) سورة الأحزاب، الآية 5.

(70) سورة الأحزاب، الآية 4.

(71) سورة الأحزاب، الآية 37.

(72) يُنظر: السبعة في القراءات: ص 518، وحجة القراءات: 573.

(73) حجة القراءات: 573.

(74) الكشف عن وجوه القراءات: 533، ويُنظر: حجة القراءات: 572، وتحبير التيسير: 511.

(75) الكشــف عن وجوه القراءات: 533، ويُنظر: حجة القراءات: 572، وتحبير التيســير: 511، والتبصرة في قراءات الأئمة العشرة، ص443.

(76) الكشـف عن وجوه القراءات: 533، وتحبير التيسـير: 511، والتبصـرة في قراءات الأئمة العشـرة، ص443.

(77) يُنظر: الســبعة في القراءات: ص 519، والحجة في علل القراءات الســبع: 170 ، والتذكرة في القراءات ص418 – 419 ، والكشـف عن وجوه القراءات 533، وحجة القراءات: 572، والتبصـرة في قراءات الأئمة العشرة: 443 ، وتحبير التيسير: 511، والكنز في القراءات: 608.

(78) يُنظر: حجة القراءات: 572.

(79) سورة الأحزاب، الآية 4.

(80) يُنظر: الكشاف: 528/3.

(81) يُنظر: معاني القرآن للأخفش: 30/3 ، وإعراب القرآن للنحاس: 302/3.

(82) التبيان في إعراب القرآن: 190/2.

(83) المصدر نفسه: 48/1.

(84) الجدول في إعراب القرآن: 21/ 129.

(85) سورة الأحزاب، الآية 4.

(86) يُنظر: صفوة التفاسير: 517/2 ، والتفسير المنير: 225/21.

(87) سورة الحج، الآية 46.

(88) الكشاف: 528/3.

(89) الكشاف: 529/3.

(90) الكشاف: 530/3.

(91) سورة التوبة، الآية 30.

(92) مفاتيح الغيب: 168/25.

(93) سورة الأحزاب، الآية 4.

(94) الكشف والبيان: 5/8 ، وصفوة التفاسير: 5/2.

(95) سورة الأحزاب، الآية 5.

(96) يُنظر: إعراب القرآن وبيانه: 593/7، وأيسر التفاسير: 240/4 ، والتفسير المنير: 21/ 240.

(97) يُنظر: إعراب القرآن وبيانه: 593/7، والتحرير والتنوير: 21/ 247، وأيسر التفاسير: 240/4.

(98) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب: 185/1.

(99) أحكام القرآن للهراسي: 58/4، وأيسر التفاسير: 240/4 ، ، والتفسير المنير: 21/ 242.

(100) تأويلات أهل السنة: 99/4.

(101) المحرر الوجيز: 422/4.

(102) يُنظر: التحرير والتنوير: 21/ 254.

(103) يُنظر: التفسير المنير: 21/ 242.

(104) المصدر نفسه: 242/21.

(105) سورة الأحزاب، الآية 5.

(106) سورة الحجرات، الآية 10.

(107) سورة الأحزاب، 5.

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي (ت543هـ)، تحقيق: على محمد البجاوي، دار الفكر، بيروت.
2. إرشاد القلب السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت951هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط4، 1414هـ - 1994م.
3. أسباب نزول القرآن، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري (ت468هـ)، تحقيق: عصام بن عبدالمحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط2، 1412هـ - 1992م.
4. إعراب القرآن وبيانه، لمحي الدين درويش، مطبعة دار الإرشاد، سوريا.
5. إعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت338هـ)، تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، 1409هـ - 1998م.
6. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر جابر بن موسى بن عبدالقادر بن جابر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط5، 1424هـ - 2003م.
7. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت817هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1416 هـ - 1996 م.
8. تأويلات أهل السنة، لأبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي الحنفي (ت333هـ)، تحقيق: فاطمة يوسف الخمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1425هـ - 2004م.
9. التبصرة في قراءات الأئمة العشرة، لأبي الحسن علي بن فارس الخياط، تحقيق: رحاب محمد مفيد، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1428هـ - 2007م.
10. تحبير التيسير في القراءات العشر، لابن الجزري شمس الدين محمد بن محمد بن علي بن يوسف (ت833هـ)، تحقيق: د. أحمد محمد مفلح القضاة، دار الفرقان، الأردن، ط1، 1421هـ - 2000م .
11. التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس، 1997م.
12. التذكرة في القراءات، لأبي الحسن طاهر بن عبدالمنعم بن غليون (ت399هـ)، تحقيق: د سعيد صالح زعيمة، دار ابن خلدون، الاسكندرية، ط1، 1422هـ - 200م.
13. التعريفات، لعلي بن محمد بن الجرجاني (ت816هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1405هـ.

14. تفسير البكري، لأبي الحسن محمد بن محمد بن عبدالرحمن الصديقي البكري (ت952هـ)، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م.
15. تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت774هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ط1، 1419 هـ.
16. تفسير القرآن، لأبي مظفر منصور بن محمد بن عبدالجبار السمعاني (ت489هـ) تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، 1418هـ – 1997م.
17. تفسير القرآن، لعبدالرزاق بن همام الصنعاني (ت211هـ)، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد، دار الرشد، الرياض، 1410هـ.
18. التفسير المنير، د. وهبة مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، 1418هـ .
19. التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي، دار الجيل الجديد.
20. التفسير الوسيط، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط1، 1422هـ .
21. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ–2000م.
22. جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1420هـ–1999م.
23. الجدول في إعراب القرآن، لمحمود بن عبدالرحيم صافي (ت1376هـ)، دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت، ط4، 1418 هـ.
24. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت875هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت.
25. حجة القراءات، لأبي زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5،1422هـ – 2001م.
26. الحجة في علل القراءات السبع، لأبي علي الحسن بن عبدالغفار الفارسي النجوى (ت377هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1428هـ – 2007م.
27. حقائق التفسير، لأبي عبدالرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي (ت412هـ)، تحقيق: سيد عمران، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412هـ – 2001م.
28. دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي (ت1393هـ)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط1، 1417هـ – 1996م.

29. روح البيان، لإسماعيل حقي بن مصطفى الاستانبولي الحنفي (ت1127هـ)، دار إحياء التراث العربي.

30. زاد المسير في علم التفسير، لعبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت597هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1404هـ.

31. السبعة في القراءات، لأحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبي بكر بن مجاهد البغدادي (ت324هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، ط2، 1400هـ.

32. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، لشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت977هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

33. صفوة التفاسير، لمحمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت.

34. عرائس البيان في حقائق القرآن، لأبي محمد صدر الدين روزبهان بن أبي نصر البقلي (ت606هـ)، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1429هـ –2008م.

35. في ظلال القرآن، لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت1385هـ)، دار الشروق – بيروت– القاهرة، ط17، 1412 هـ.

36. كتاب الكليات، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ – 1998م.

37. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت538هـ)، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

38. الكنز اللغوي في اللَسَن العربي، لابن السكيت الأهوازي (ت244هـ)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1903م.

39. الكنز في القراءات العشر، لعبدالله بن عبدالمؤمن الواسطي (ت740هـ)، تحقيق: د. خالد أحمد المشهداني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1425هـ –2004م.

40. لباب النقول في أسباب النزول، لأبي الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي (ت911هـ)، دار إحياء العلوم، بيروت.

41. اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي (ت775هـ)، تحقيق: الشيخ عادل عبدالموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ – 1998م.

42. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت711هـ)، م دار صياد، بيروت، ط1.

43. مباحث في علوم القرآن، لمناع بن خليل القطان (ت1420هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3، 1421هـ- 2000م.

44. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت542هـ)، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1413هـ- 1993م.

45. مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي (ت666هـ)، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، 1415هـ- 1995م.

46. مدارك التنزيل وحقائق التأويل "تفسير النسفي" لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت710هـ)، تحقيق: مروان محمد الشعار، دار النفائس، بيروت، 2005م.

47. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي (ت نحو 770هـ)، لأحمد محمد بن علي المغربي الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.

48. معالم التنزيل، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت516هـ)، تحقيق: محمد عبدالله النمر، عثمان جمعة ضمرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة، السعودية، ط4، 1417هـ - 1997م.

49. معاني القرآن الكريم، للنحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة، ط1، 1409هـ.

50. معاني القرآن، لأبي الحسن المجاشعي البلخي البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت215هـ)، تحقيق: د. هدى محمود قراعة، الخانجي، القاهرة، ط1،1411 هـ - 1990 م.

51. معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت207هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار السرور.

52. المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبدالقادر، موحمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

53. معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبي الحسين (ت395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط2، 1399هـ - 1979م.

54. مفاتيح الغيب، لفخر الدين محمد بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي (ت604هـ)، تحقيق: عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

55. المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد (ت502هـ)، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، المعرفة، بيروت.

56. مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبدالعظيم الزرقاني (ت1367هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط2.

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ﴾

57. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبدالرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ - 1995.

58. الهداية الى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه، لمكي بن أبي طالب القيسي القرطبي (ت437هـ)، تحقيق: محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، 2011م.